

الكشاف

" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم ولا إخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل إن كان آباؤكم وأبناءؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الـ ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الـ بأمره والـ لا يهدي القوم الفاسقين " .

وكان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم . فقالوا : يا رسول الـ : إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرننا وذهب تجارتنا وهلكت أموالنا وخرت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك . وقيل : نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الـ تعالى عن موالاتهم . وعن النبي A : " لا يطعم أحدكم طعام الإيمان حتى يحب في الـ ويبغض في الـ : حتى يحب في الـ أبعد الناس ويبغض في الـ أقرب الناس إليه . وقرئ : عشيرتكم وعشيراتكم . وقرأ الحسن : وعشائركم " فتربصوا حتى يأتى الـ بأمره " وعبيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن هي عقوبة عاجلة أو آجلة . وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أروع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الـ والثبات على دين الـ ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله ؟ أم يزوي الـ عنه أحقر شيء منها بمصلحته فلا يدري أي طرفيه أطول ؟ ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره ؟ .

" لقد نصركم الـ في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الـ سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الـ من بعد ذلك على من يشاء والـ غفور رحيم " .

مواطن الحرب : مقاماتها ومواقفها قال : .

وكم موطن لولاي طحت كما هوى ... بأجرامه من قلة النيق منهوي .

وامتناعه من الصرف لأنه جمع وعلى صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة : وقعت بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة . فإن قلت : كيف عطف الزمان والمكان وهو " يوم حنين " على المواطن ؟ قلت : معناه وموطن يوم حنين . أو في أيام مواطن كثيرة ويوم

حنين . ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمرا لا بهذا الظاهر . وموجب ذلك أن قوله : " إذ أعجبتكم " يدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح ؟ لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي أن يكون ناصبه فعلا خاصا به إلا إذا نصبت إذ بإضمار اذكر وحنين : واد بين مكة والطائف كانت فيه الواقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا الذين حضروا فتح مكة منضمين إليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضاقهم من إمداد سائر العرب فكان الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين : لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله ﷺ وقيل فائلا رسول الله ﷺ . وقيل : أبو بكر رضي الله عنه وذلك قوله : " إذ أعجبتكم كثرتكم " فاقتتلوا قتالا شديدا وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله ﷻ هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله ﷺ وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلل ليس معه إلا عمه العباس رضي الله تعالى عنه آخذ بلجام دابته وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه وناهيك بهذه الوحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جأشه A وما هي إلا من آيات النبوة وقال :